الذكر والحذف في القرآن الكريم خلال تفسير بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي

The Mention and Ellipsis in the Holy Quran through the Interpretation of "Baṣā'ir dhawī al-tamyīz fī laṭā'if al-Kitāb al-'Azīz" by Fīrūzābādī

Dr. Sami ullah Zubairi
Assistant Professor Faculty of Arabic and Islamic Studies
Allama Iqbal Open University, Islamabad, Pakistan
Email: sami.zubairi@aiou.edu.pk

Tawseef Ahmad Bhat
Research Scholar & Visiting Lecturer Faculty of Arabic
International Islamic University, Islamabad, Pakistan
Email: tawseefbhat219@gmail.com

Shabir Ahmad Khan
Visiting Lecturer Department of Translation & Interpretation
Faculty of Arabic International Islamic University, Islamabad, Pakistan
Email: kshabir92@gmail.com

Abstract
This comprehensive study critically examined the phenomenon of ellipsis and omission in the Holy Quran, specifically through the interpretation titled "Baṣā'ir dhawī al-tamyīz fī laṭā'if al-Kitāb al-'Azīz"by Fayruzabadi. Employing a rigorous rhetorical and semantic analysis, the research adopted a descriptive and analytical approach. The inquiry commenced by meticulously delineating the scholarly character of Fayruzabadi. Subsequently, it delved deeply into the intricate concepts of ellipsis and omission, elucidating their linguistic and terminological definitions within the framework of both grammatical and rhetorical traditions. The study then meticulously explored the profound significance that ellipsis and omission hold in Fayruzabadi's interpretation, conducting a meticulous examination of Quranic verses from a rhetorical perspective. This exploration confirmed the exceptional and awe-inspiring nature of the Holy Quran, underscoring the meticulous choice of words and their multifaceted meanings. Furthermore, the research scrutinized instances where a letter is omitted from a specific word or its connected word.

Keywords: Ellipsis, Omission, Basair Dhuwi at-Tamayyuz, Rhetoric and semantics, significance of ellipsis and omission

مخلص البحث:

تناولت هذه الدراسة "الذكر والحذف في تفسير"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" للفيروزآبادي من جانب بلاغي ودلالي وفق المنهج الوصفي والتحليلي، بدأت الدراسة إبراز شخصية الفيروزآبادي العلمية. تناولت الذكر والحذف وتعريفه من حيث اللغوي والاصطلاحي ومفهومه عند النحاة والبلاغيين، ثم تناولت دلالة الذكر والحذف عند الفيروز آبادي، ففيها دراسة ما تضمنته الآيات محل البحث من وجوه بيانية وتؤكد على إعجاز القرآن الكريم، وتبين دقة اختيار الألفاظ القرآنية وتنوع دلالاتها. وحذف حرف من كلمة معينة في القرآن في موضع وإثباته في الكلمة نفسها في موضع آخر لسر وغاية في المعنى وهو دليل على أن القرآن كلام الله تعالى.كما يكشف البحث عن أن مواضع حذف الحرف في القرآن الكريم تتسم بدلالة المعنى والسياق على الحرف المحذوف دلالة واضحة دون غموض أو لبس، كما أن كل موضع يكشف عن غرض وسر يثبت إعجاز القرآن وأنه من لدن حكيم خبير وغايات حذف الحرف في القرآن متعددة وأكثرها شيوعا وأغلبها التخفيف في النطق ورعاية الفاصلة ورؤوس الآيات لموافقة النظم القرآني ليكون النظم على لفظ متسق وذلك من مظاهر إعجاز القرآن في أسلوبه ونظمه.

مقدمة

الحمد لله مسبغ النعم ودافع النقم، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الأمم من عدم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أفصح العرب والعجم، صل اللّهم عليه وعلى آله وأصحابه ذوي العزائم والهمم.**وبعد.**

فإن مما اختصّت به اللغة العربية دون سائر اللّغات؛ ما أحيطت به من سربال الحفظ من الله عزّ وجل، ذلك أنها لغة القرآن، الذي تولّى الله حفظه بنفسه "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[1]

وكما يقال "خير الكلام ما قلّ ودلّ"، يعني ما قلّ في مبناه وكثر معناه، وهو ما يمكن الوصول إليه عن طريق الإيجاز والذي يعتبر الحذف أحد ركنيه الأساسيين، والحذف ظاهرة من الظواهر اللغوية التي حظيت باهتمام العلماء والباحثين قديما وحديثا.

تعريف بالمؤلف الفيروز آبادي:

أولا: اسمه ونسبه ولقه ونسبته: هو العلامة محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، الشيرازي الملقب بـ(مجد الدين)، الفيروز آبادي[2] نسبة إلى فيروز آباد[3].

ثانيا: مولده ومكان ولادته: ولد في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون[4] من أعمال شيراز[5] ونشأ بها[6]

ثالثا: شيوخه وتلامذته: أخذ الفيروز آبادي العلم عن شيوخ كثيرين منهم:

1-تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ. 2- العلامة ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ. 3- أبو بكر جمال الدين ابن نباتة المتوفى سنة ٧٦٨هـ. 4- الحافظ صلاح الدين العلائي المتوفى٦٩٤هـ . أما تلامذته: فقد أخذ عنه العلم علماء كثيرون من بلاد الإسلام أشهرهم ابن عقيل المتوفى ٧٧٩هـ، وصلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ، والحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، الذي أخذ عنه القاموس وأذن له أن يروي عنه جميع ما كتبه[7]

رابعا: مصنفاته العلمية: ترك الفيروز آبادي تركة علمية هائلة بها عدد كبير من المؤلفات و المصنفات في شتى العلوم منها: في اللغة "القاموس المحيط"، وفي التفسير "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، وفي التراجم "كتاب المرقاة الوفية في طبقات الحنفية"، وفي الفقه وأصوله كتاب "عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام"، وفى الحديث "منح الباري بالسيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري"، كتاب "تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول"[8].

وفاته وثناء العلماء عليه: توفى -رحمه الله – بزبيد مدينة باليمن سنة 817هـ . وقد شهد له العلماء شهادات عدة تدل على قوة علمه، وفهمه جاء في طبقات الشافعية: "وهو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن فاق فيه أقرانه على رأس القرن الثامن"[9].

تعريف الحذف لغة واصطلاحا:

الحذف لغة:

لكي نفهم ونتعرف على حقيقة الحذف يجب التعرف أولا عليه من الناحية المعجمية، فماذا قالت عنه مختلف المعاجم اللغوية؟

الحذف فى لغة العرب القطع والإسقاط، ففي اللّسان "حَذَفَ الشيء يحذفه حذفا، أي قطعه من طرفه"[10].

كما جاء في كتاب العين "الحذف: قطف الشيء من الطرف كما يُحذف طرف ذَنَب الشاة"[11].

ويؤكد الزمخشري: "الحذف هو القطع والرمي، ومنه حذف ذنب فرسه اذا قطع طرفه... وحذف رأسه بالسيف: ضربه فقطع منه قطعة وحذف الأرنب بالعصا رماها بها والحذف بالعصا"[12].

ويقول الجوهري: "حذف الشيء: إسقاطه يقال: حذفت من شعري ومن ذنب الدابة: أي أخذت"[13].

الحذف في الاصطلاح:

لقد تناول الكثير من العلماء هذه الظاهرة اللغوية بتعريفها، وتبيان صورها، سواء كانت النحوية أو البلاغية أو الصوتية أو الصرفية أو المعجمية.نذكر هنا عند النحاة والبلاغيين بالاختصار.

الحذف عن النحاة:

أما الحذف النحوي يقول ابن جني فيقع في "الجملة والكلمة والحرف والحركة عن دليل"[14] ويكون للتخفيف، وقال في موضع آخر "إن الحذف إنما الغرض به التخفيف"[15]

وروى سيبويه عن الخليل: "الأصل في (لن) لا أن، ولكن الحذف وقع استخفافا"[16]. وقال الرماني في كتابه الحدود: "هو إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها"[17].

ويقول أحمد عفيفي: "لاشك أن الحذف في اللغة –سواء كان قياسيا أو سماعيا – وهو نوع من التخفيف من بعض عناصر الجملة في كمال طولها– سواء الحذف كان حرفا أو كلمة أو جملة"[18]. بعرفه الزركشي بأنه: "إسقاط جزء من الكلام أو كلّه لدليل"[19].

الحذف عند البلاغيّن:

أما البلاغيون فيقولون في الحذف وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني هو "باب دقيق المسلك لطيف المآخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، ونجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[20]. ونجد البلاغيين يعبرون عن الحذف بالإيجاز وهو كما عرفه الرّماني "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعني"[21]

تناول علماء موضوع الذكر والحذف في آيات القرآن الكريم في ثنايا كتبهم ضمن موضوعات مختلفة ولأغراض متعددة بدون أن يفردوا لها كتباً مستقلة تنظيم فيها مفرداته جميعاً. فقد بحث النحاة قضية الحذف ضمن أبواب خاصة في كتب النحو عن حذف المبتدأ أو الخبر أو المفعول...، كما بحثوا قضية الحذف ضمن أبواب أخرى ليست خالصة للحذف مثل باب حروف المعاني وزيادتها، أو باب الحذف في جملة الشرط وجوابها، أو باب الإتباع الإعرابي.

أما البلاغيون فقد جعلوا أبوابا في كتب الإعجاز تبحث قضية الذكر والحذف لكنهم فصلوا بين البابين، فجعلوا للحذف أبوابا مستقلة، وحين تحدثوا عن الذكر أفردوا له أبوابا خاصة فأعلو من شأن المذكور وبيّنوا أثره على الدلالة، وهذا دليل على أنهم تناولوا الذكر بمعزل عن الحذف، وتناولوا الحذف بمعزل عن الذكر، ولم يتتبعوا مواضع تعاقبها ليحكموا بأثر هذا التعاقب في الدلالة.

دلالة الذكر والحذف عند الفيروزآبادي

يعد الذكر والحذف من المواطن التي تتفاضل بها التعبيرات وتكمن ميزته في معرفة المكان الأنسب لذكر هذه الكلمة أو عدم ذكرها. ويرتبط هذا الموطن بأسس أولى هي الأصل المتمثل بأن الذكر هو الأصل والحذف فرع عنه. كما أن الأصل الا يقدم ما حقه التأخير وانما تقديمه فرع عنه. وهكذا فعدم التكرار هو

الأصل والتكرار فرع. وهذه النظرة التحليلية لبناء الجملة هي التي تعطي القدرة على ملاحظة الفروع وهو ما عبّر عنه النحويون في أكثر من موضع (يأمن اللبس) أو (وضوح المعنى).

فمن مواضع الذكر والحذف في التشابه ماورد من حذف مفعول (وعد) في آية وذكره آية أخرى، قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ"[22]، وقال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"[23]، وفي ذلك يقول الفيروز آبادي: "رفع ما في هذه السورة يعني: (المائدة) موافقة لفواصل الآي، ونصب مافي (الفتح) موافقة للفواصل أيضاً، ولأنه مفعول (وعد)، وفي مفعول (وعد) في هذه السورة أقوال أحدها: محذوف، وقوله دل عليه (وعد) خلاف مادل عليه (أوعد) أي (خيراً). وقيل: محذوف، وقوله: (لهم مغفرة) تفسيره. وقيل: (لهم مغفرة) جملة وقعت موقع المفرد ومحلها النصب كقول الشاعر :

وَجَدَ نَا الصَّالِحِينَ لَهُمْ جزاءٌ وجناتٍ وعيداً سلسبيلا

فعطف (جنات) على محل (لهم جزاءٌ). وقيل: رفع على الحكاية، لأنّ الوعد قول، وتقديره قال الله: (لهم مغفرة...)"[24].

والملاحظ أن الفيروز آبادي أرجع هذا الحذف والذكر الى مقتضيات السياق الصوتي لفواصل الآيات القرآنية. وهي مسألة واضحة في تحليل النص القرآني من سورة سبقتها فواصل: رحيمٌ (الآية٤)، الخاسرين (الآية٥)، تشكرون (آية ٦)، الصدور (آية7) تعملون (الآية ٨). وتلتها: الجحيم (الآية١٠)، المؤمنون (الآية١١)، السبيل (الآية١٢) المحسنين (الآية١٣)[25].

أما الآية من سورة الفتح فقد سبقتها فواصل: "اليماً (الآية ٢٥)، عليًّا (الآية ٢٦)، قريباً(الآية٢٧)، شهيداً(الآية٢٨)"[26]

وقد توقف عند انسجام الفواصل القرآنية في السورة الواحدة علماء البلاغة والاعجاز القرآني. فهذا الرّماني يصف فواصل القرآن بأنها "كلها بلاغة وحكمة: لأنها طريق الى افهام المعاني التي يُحتاج اليها في أحسن صورة يدل بها عليها..."[27]، كما أن "الفاصلة في الآية كالقافية في الشعر"[28] وتجدر الاشارة ههنا إلى أنّ نظرة العلماء[29]. الى الفاصلة القرآنية تكون على قسمين: الأول: على الحروف المتجانسة. والثاني: على الحروف المتقاربة. فمثال الأول: قوله تعالى "طه، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ. إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ"[30] ، وقوله تعالى: "وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ"[31] ومثال الثاني الميم مع النون في قوله تعالى "الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يوْمِ الدِّينِ"[32]، والدال مع الباء في قوله تعالى "ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ"[33]، ثم يقول: "هُذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ"[34]. فاذا علمنا هذا جاز للفيروز آبادي تسويع ما ذكره من مراعاة فواصل (سورة المائدة) على اختلاف حروفها الأخيرة.

وتبرز ميزة التعبير القرآني المعجز أنه مع مراعاة الفاصلة القرآنية وهي مسألة توافق لفظي أو إيقاعي لا يكون ذلك على حساب الجانب الدلالي ووضوح المعنى بل تمامه، وهي مسألة أشار إليها الفيروز آبادي حين ذكر الآراء التي قيلت في حذف مفعول (وعد) فمرة بتقابله مع (أَوْعَدَ)، ومرة لوجود ما يفسره وهو قوله (لهم مغفرة). وهذا المسلك بين المنحى الذي يتخذه التحليل للنص بأن يراعى الجانب المعنوي بصورة رئيسة.

على أن من الآراء ما ذهب إلى أنّ مفعول (وعد) لم يحذف وهو قوله (لهم مغفرة) جملة اسمية وقعت في محل نصب إذ يقول الفيروز آبادي: "وقيل: لهم مغفرة جملة وقعت موقع الفرد ومحلها نصب، كقول الشاعر:

وجدنا الصالحين لهم جزاءٌ وجناتٍ وعيناً سلسبيلا".

فعطف (جنات) على محل (لهم جزاءٌ)"[35]. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن الأقوال تتعاقب فيقول: "وقيل: رفع على الحكاية لأن الوعد قول وتقديره: قال الله: لهم مغفرة وقيل تقديره إنَّ لهم مغفرة. فحذف (إنَّ) فارتفع ما بعده"[36]

وعلى الرغم من غلبة الصناعة النحوية على هذه الآراء فانها في الوقت نفسه تعبّر عن مراعاة الجانب المعنوي، ونرى أن قيام الجملة قام مفعول (وعد) هو الأجدر بالاعتبار فإنه أبعد عن التأويل والقول بالحذف مع وجود ما يسوغ هذا الاستعمال من كلام العرب وكلام الله "إنما جاء على ما يقتضيه كلام العباد"[37]. على ما يقول سيبويه.

وقد يراعى جانب آخر غير الفاصلة في الحذف فمن ذلك مراعاة السياق اللغوي للنص القرآني في حذف لفظ كالمستثنى فمن ذلك قوله تعالى "فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ"[38]. استثنى في هذه السورة من الأهل قوله "إِلَّا امْرَأَتَكَ"،ولم يستثنى في سورة الحجر في قوله تعالى "فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ"[39].

وسوّغ الفيروزآبادي ذلك بقوله "اكتفاء بما قبله وهو قوله "إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ"[40]. فهذا الاستثناء الذي انفردت به سورة الحجر قام مقام الاستثناء من قوله " فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ"، وزاد في الحجر "وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ"؛ لأنه اذا ساقهم وكان من ورائهم علم بنجاتهم، ولا يخفى عليه حالهم"[41].

فقد تقدم استثناء امرأة لوط من الناجين فلم تكن حاجة لاعادته. وفي قوله تعالى "واتَّبِعْ أَدْبَارَهُم" بعد الآية من الحجر لمحة لطيفة تبيّن علم لوط بوقوع الاستثناء، وهذه الصورة التي يرسمها القرآن لخروج آل لوط في الحجر تعزز تكامل الجملة الدلالي مع حذف أحد أجزائها.

وقد تدخل (كان) على الجملة في كثير من الآيات المتشابهة من نحو قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا"[42] و "وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا"[43]، "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا"[44]، "وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا"[45]، "وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[46].

ولعل السؤال يكمن ههنا في أن (كان) تعمل على جعل اتصاف المبتدأ بالخبر في الزمن الماضي، ويمكن أن تصح الجملة في هذه الآيات من غير وجود ما فلماذا إذن أدخلت ؟؟

يرى الفيروز آبادي أن مراعاة الفواصل القرآنية هي التي اقتضت دخول (كان) اذ قال فيه: "وهذا من باب الاعراب، وأنما نصب لدخول (كان) على الجملة، فتفردت السورة وحسن دخول (كان) عليها، مراعاة الفواصل الآي. والله اعلم"[47]

يلاحظ أن الفيروز آبادي لم يعرض للأثر الدلالي المترتب على استعمال (كان) بل اكتفى بالاشارة الى الأثر الايقاعي المتمثل بمراعاة الفواصل. مما قد يشير الى أنه لا يرى أثراً لـ(كان) من الناحية الزمنية. ولعل هذا يتوافق مع رأي من يرى أنّ (كان) في مثل هذه الاستعمالات ترادف (لم يزل). على أن الكلام في هذا الموضوع متشعب وواسع ولعل الرأي الأرجح[48] ماذهب اليه الزمخشري من أنه لا دلالة لـ (كان) في نفسها على انقطاع اتصاف المبتدأ بالخبر ولا بقائه، بل تقرر ذلك طبيعة الاخبار فإن كان الاخبار عن صفة ذاتية لله فالمراد الاخبار عن وجودها في الازل نحو كان الله خالقاً ورازقاً ومحيياً ومميتاً، وتارة تحقيق نسبته اليه (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) الأنبياء:٧٩، وتارة ابتداء الفعل وإنشاؤه نحو (وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) القصص:58. ويقول الزمخشري عند قوله تعالى "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[49] (كان) عبارة عن وجود الشيء في زمانٍ ماضٍ على سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى: "وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً"[50] ومنه قوله تعالى: (كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ)، كأنه قيل: وجدتم خير أمة"[51].

ومن مواطن الذكر والحذف ذكر ضمير الفصل في بعض الآيات وعدم ذكره في آيات أخرى. وقد بيّن الفيروز آبادي أن ذلك يقع على وجهين هما: الأول: (ذلك الفوز) بغير (هو) ووقع في القرآن في ستة مواضع. في براءة: موضعان "خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" وفي الآية الأخرى "خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"، والمائدة: "رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[52]، والصف: "وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[53] والتغاين: "خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[54]، ومافي النساء: "خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[55]، و"ذلك" بزيادة (الواو).

والثاني: "ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ" بزيادة (هو). ووقع ذلك في ستة مواضع ايضاً هي: في براءة موضعان: "وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. "فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[56]،، وفي يونس:"لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[57]، وغافر: "وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[58]، والدخان: "فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[59]، والحديد: "خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"، وما في براءة والمؤمن بزيادة (الواو).

وعلل الفيروز آبادي ذكر (الواو) والضمير بقوله: "والجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة بما قبلها إما بواو العطف وإما بكناية تعود في الثانية على الأولى. وأما باشارة فيها إليها، وربما يجمع بين اثنين منها، والثلاثة للدلالة على مبالغة فيها. ففي السورة (خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ) و(خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ) وفيها ايضاً (وَرِضْوَانَ مِّنَ اللهِ أَكبَرَ ذَلِكَ هُوَ) فجمع بين اثنين. وبعدها (فَاستَبْشِرُوا بِبيعكم الَّذِي بَا يَعتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ) فجمع بين الثلاثة، تنبيها على أن الاستبشار من الله يتضمن رضوانه، والرضوان يتضمن الخلود في الجنات"[60] .

فالفيروز آبادي يحيل هذا الذكر الى عملية ربط جملة بجملة فكلما يولغ في ربط دلالة الجملتين على المعنى نفسه تعددت وجوه ذلك الربط. فاضيف الى الضمير (الواو) اسم الاشارة. ويلاحظ أن هذا التعليل يتوجه نحو تأكيد توجه الجملتين على المعنى الواحد.

ووقف عند التشابه بين قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ"[61]، وكذلك في سورة مريم "وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ"[62] وفي الزخرف من هذه القصة "إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ"[63] بزيادة (هو) فبيّن دلالة الحالتين بقوله نقلا عن تاج القراء يعني: الكرماني: "اذا قلت: زيد قائم فيحتمل أن يكون تقديره. (وعمر وقائم). فاذا قلت: زيد هو القائم خصصت القيام به، وهو كذلك في الآية وهذا مثاله لأنّ (هو) يذكر في هذه المواضع إعلاماً بأنّ المبتدأ مقصور على هذا الخبر وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره والذي في (آل عمران) وقع بعد عشر آيات في قصة مريم وعيسى، فاستغنت عن التأكيد بما تقدم من الآيات، والدلالة على أن الله سبحانه وتعالى ربّه وخالقه لا أبوه ووالده كما زعمت النصارى، وكذلك في سورة (مريم) وقع بعد عشرين آية من قصتها. وليس كذلك مافي (الزخرف) فإنه ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله (هو) ليصير المبتدأ قصوراً على الخبر المذكور في الآية وهو اثبات الربوبية ونفي الأبوة..."[64].

ويرى أحد الباحثين أن زيادة ضمير الفصل (هو) في آية (الزخرف) دون الآية الأخرى ذلك إنَّ آية (الزخرف) قيلت في سياق عبادة عيسى (عليه السلام) واتخاذه الهاً بخلاف غيرها فناسب ذلك تأكيد ربوبية الله له[65].

ومسألة إفادة ضمير الفصل اختصاص الخبر بالمبتدأ من جملة فوائد وأغراض لاستعمال غير الفصل ولعل تلك الفوائد والاغراض تدور حول معنى عام هو توكيد المضمون. ففي سورة (براءة) قال تعالى: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[66]، وقال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[67].

وقال فاضل السامرائي "فانظر الى الفرق بين الآيتين فقد جاء بإحداهما بضمير الفصل دون الأخرى وذلك أنّه لما عدل عن قوله (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) الى قوله (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)، فجاء بالجملة الاسمية الدّالة على الثبوت والتي هي أقوى من الفعلية ثم أخبر بأنّ رضوان الله أكبر من الجنات وملذاتها ناسب عظم ذلك المجيء بضمير الفصل فقال (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)"[68]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يرى الدكتور فاضل السامرائي أنه "زاد على (الجنّات) ذكر (المساكن الطيبة في جنات عدن) فقال: (وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) فقد ذكر الجنة وذكر علاوة على ذلك المساكن الطيبة فناسب ذلك أن يزيد في توكيد الفوز. ومن ناحية ثالثة أنه ذكر (من) في الآية الثانية دون الأولى لأنّ معنى (من) هنا الابتداء أي إنّ الأنهار تنفجر من تحتها وهذه الحالة أكمل من الحالة الأولى فإنه قال فيها (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) فانه ذكر أنّ الانهار تجري تحتها، وليس بدء الجريان منها فناسب كل ذلك زيادة ضمير الفصل لتوكيد (الفوز) وعظته. فسبحان الله العظيم . ما أجل هذا الكلام وما أعظمه! وما افخمه"[69].

وقد يذكر ضمير الفصل لرفع اللبس كما في قوله تعالى: "وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ"[70] بضمير الفصل (هم) وجاء في سورة العنكبوت: "وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ"[71] من غير أنّ يذكر فيها (هم)، ويعلل الفيروز آبادي ذلك بقوله: "لأنّ هذه السورة يعني النحل اتصل الخطاب "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ"[72] ثم عاد الى الغيبة فقال: "أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ"[73] ولابد من تقييده بـ(هم) لئلا يلتبس الغيبة بالخطاب والتاء بالياء ، وما في (العنكبوت) اتصل بآيات استمرت على الغيبة فلم يحتج إلى تقييده بضمير"[74].

فاللبس رُفع بذكر ضمير الغائبين (هم) إذ لولا ذلك لاحتمل أن يكون الضمير في (يكفرون) راجعاً إلى المخاطبين في (لكم، انفسكم، رزقكم) أو الى الغائبين في (يؤمنون) فلما قال (بِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) علم أن المعني هم الغائبون.

ومن مواقع الذكر والحذف التي أوردها الفيروزآبادي في المتشابه من آي القرآن الكريم ذكر (من) في آية وعدم ذكرها في آية أخرى. فقد جاء في سياق تحدّي الله المشركين أن يأتوا بمثل القرآن قوله تعالى: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ"[75]بذكر (مِنْ) التبعيضية وحذفها في قوله تعالى : "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ"[76] ويعود ذكرها إلى ورودها في هذا الموضع من القرآن المتمثل في سورة (البقرة) التي تسمى (سنام القرآن). ومعنى ذلك أن تقدَّم موضعها رجع ذكرها ليكون التحدّي واقعا على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره. على حين أنها لم تذكر في الموضع الثاني في سورة (يونس) لأنها لا تمتلك هذه الخصوصية في الموضع. قال الفيروزآبادي: "لأنّ (من) للتبعيض، وهذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة، فحسن دخول (من) فيها، ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، من أوله إلى آخره، وغيرها من السور لو دخلها (من) لكان التحدي واقعاً

على بعض السور دون بعض. والهاء في (مثله) يعود إلى القرآن وقيل: يعود إلى محمد (صلى الله عليه وسلّم) أي فأتوا بسورة من إنسان مثله. وقيل: إلى الانداد وليس بشيء. وقيل: مثله التوراة، والهاء يعود إلى القرآن والمعنى: فأتوا بسورة من التوراة التي هي مثل القرآن لتعلموا وفاقهما"[77].

وهناك من يرى أن (من) زائدة بدليل قوله تعالى: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ" وعلى هذا فإن (الهاء) تعود إلى قوله (ما) أي: فأتوا بسورة من مثل ما نزّلنا على عبدنا محمّد – صلّى الله عليه وآله وسلّم–[78].

ومن ذلك ذكر (أنّ) في آية وحذفها من أخرى مشابهة لها، فمثال ما حذفت منه قوله تعالى: "وَأَلْقِ عَصَاكَ"[79] وأُثبتت في قوله تعالى: "وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ"[80] وعلّل ترك ادخالها بالعودة إلى انسجام الكلام وحسنه من غير أن يكون خصيصة دلاليّة ليكون بناء النص من الناحية الشكلية متجانسا من غير أن يؤخذ بالاعتبار جانبه الدلالي. لأن في هذه السورة يعني النمل: "نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَأَلْقِ عَصَاكَ"[81] فحيل بينهما بهذه الجملة فاستغني عن إعادة (أنّ)، وفي القصص: "أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ"[82]. فلم يكن بينهما جملة أخرى عطف بها على الاول، فحسن ادخال (أن)[83].

وقد يعود أمر ذكر بعض الأدوات وحذفها إلى متطلبات نحوية من نحو ما ذكره الفيروزآبادي في التشابه من قوله تعالى: "إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ"[84] مع قوله تعالى: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ"[85] فقد أثبت (أنّ) في الثانية وحذفها في الآية المتقدمة؛ وذلك لأنّ ما في هذه السورة (يعني: الصافات) وقع بعد القول فحكي، وفي القتال (وهي سورة محمد) وقع بعد العلم فزيد قبله (أنّه) ليصير مفعول العلم، ثم يتصل به ما بعده"[86] فيكون سادّا سدّ مفعول.

خاتمة وأهم النتائج

بعد: فقد استطعت من خلال هذا البحث التوصل إلى نتائج علمية مهمة لا نستطيع ذكرها كلها هنا، ولكن لا مناص من ذكر بعضها:

عالج هذا البحث الذكر والحذف فى القرآن وأغراضها الدلالية والبلاغية خلال تفسير بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي والذي اعتبر مزية من مزايا هذه اللغة العربية وسرا من أسرارها ومصدر الإعجاز الذي تحدى الله عز وجل من خلاله العرب آنذاك وإلى يوم القيامة وكذلك ربط الحذف النحوي بالمعاني البلاغية في بعض الأحيان والحذف سنة من سنن العرب، تحدث عنها النحاة والبلغاء، وذكروا في ثنايا كتبهم.

إن الحذف في القرآن الكريم يضم في طيه أسراراً وأغراضا عظيمة، تثبت عظمة القرآن وأنه من كلام رب العالمين. كما أن الأسرار البلاغية للحذف في القرآن الكريم يعد من أهم أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

الذكر والحذف هذا الجانب من البصائر مادةً نحوية بلاغية مهمة مع علاقتها الواضحة بأسلوب التعبير القرآني، وقد حلل البحث بين النحو والدلالة وأثرهما فى نظم القرآن الكريم، وكانت فضلية دراستنا هذه الوقوف عند الذكر والحذف على نحو مفصل والكشف عن معايير الفيروزآبادي وتناسبه مع سياقها وتأكيده لمضمونها.

ويرى الفيروز آبادي أن حذف حرف من كلمة معينة في القرآن في موضع وإثباته في الكلمة نفسها في موضع آخر لسر وغاية في المعنى وهو دليل على أن القرآن كلام الله تعالى. كما يكشف البحث عن أن مواضع حذف الحرف في القرآن الكريم تتسم بدلالة المعنى والسياق على الحرف المحذوف دلالة واضحة دون غموض أو لبس، كما أن كل موضع يكشف عن غرض وسر يثبت إعجاز القرآن وأنه من لدن حكيم خبير وغايات حذف الحرف في القرآن متعددة وأكثرها شيوعا وأغلبها التخفيف في النطق ورعاية الفاصلة ورؤوس الآيات لموافقة النظم القرآني ليكون النظم على لفظ متسق وذلك من مظاهر إعجاز القرآن في أسلوبه ونظمه.

.....

الهوامش

[1]- سورة الحجر: رقم الآية:9.

[2]- الداودي، الشمس الدين، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية بيروت، ج20، ص275. والسيوطي، الحافظ جلال الدين بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط. المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص273. والتلمساني أبو العباس، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.1939م، ج3، ص27. كبري زادَة، أبو الخير، عصام الدين طاش أحمد بن مصطفى، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ص21. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، ج1، ص68.

[3]- فيروز آباد بالكسر، ثم السكون، وبعد الراء واو ساكنة، ثم زاي، وألف، وباء موحدة، وآخره دال . قيل معناه أتم دولة وهى عدة مواضع: بلدة بفارس قرب شيراز، كان اسمها جور، فغيرها عضد الدولة. وقرية بينها وبين مرو ثلاثة فراسخ. انظر: البغدادي الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط1، 1426هـ، ج30، ص1050.

[4]- كازرون بتقديم الزاي وآخره نون مدينة بفارس بين البحر وشيراز. الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج4، ص429.

[5]- شيراز: بالكسر، وآخره زاي: بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس، بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخا. معجم البلدان، ج3، ص380.

[6]- السخاوي، شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج10،ص79.

[7]- العسقلاني، حافظ ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، مجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر: 1969م،ج3، ص49.

[8]- نفس المصدر، ج3، ص49

[9]- طبقات الشافعية، الدمشقي، أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر تقي الدين، تح: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ ج4، 63.

[10]- الأفريقي، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، 1999م، ج3، ص93. مادة:(حذف).

[11]- الفراهيدي، أحمد بن عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي لمخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط1، 1988م، ج3، ص201.

[12]- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، أساس البلاغة، تح: دار الفكر بيروت، 1979م، ج1، ص80.

[13]- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة، دار العلم للملايين، بيروت ، ط4، 1990، ج4، ص 134.

[14]- ابن حني، ابو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م، ج2، ص287.

[15]- نفس المصدر، ص 287.

[16]- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ص5.

[17]- النحوي، أبو الحسن على بن عيسى، الحدود،

[18]- عفيفي، أحمد، ظاهرة التخفيف فى النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1996م، ص217.

[19]- الزركشي، بدر الدين، البرهان فى علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ج3، ص102.

[20]- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م، ص170.

[21]- الرماني، النكت في إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تح: خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف مصر، ط3، 1119هـ، ص76.

[22]- المائدة: رقم الآية: 9.

[23]- الفتح، رقم الآية:29.

[24]- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح، محمد على النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط3، 1996م، ج1، ص181.

[25]- أي إن الفواصل التي سبقتها أو تلتها كلها أم مرفوع مسنون أو مجرور أم مفتوح بنون جمع مذكر سالم أو نون فعل من الأفعال الخمسة.

[26]- إن جميع فواصل الآيات القرآنية في سورة الفتح منصوبة من قوله تعالى في الآية الأولى: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا" إلى الآية 29"

[27]- الرماني، ابو الحسن على بن عيسى، مكتبة الجامعة المليّة الاسلامية، دهلى 1934م ص98.

[28]- الصلة بين القافية وفواصل الآي القرآني. بحث منثور

[29]- ينظر: النكت في إعجاز القرآني، ص98. البصائر، 70/1.

[30]- طه، الآية:1-3.

[31]- الطور، الآية: 1-2.

[32]- الفاتحه، الآية: 3-4.

[33]- ق، الآية:1.

[34]- ق، الآية: 3.

[35]- البصائر: 1/ 181.

[36]- نفس المصدر، 181/1.

[37]- سيبويه، أبو بشر، الكتاب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1967م، 167/1.

[38]- هود، رقم الآية: 81.

[39]- الحجر، رقم الآية: 65.

[40]- الحجر، رقم الآية: 58-59.

[41]- البصائر، 1/ 253- 354.

[42]- الاحزاب، رقم الآية: 34.

[43]- الاحزاب، رقم الآية: 52.

[44]- الاحزاب، رقم الآية: 55.

[45]- الاحزاب، رقم الآية: 25.

[46]- الفتح، رقم الآية: 4.

[47]- البصائر، 1/ 380.

[48]- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ط1، 1987م، ص 1/ 226-238.

[49]- ال عمران، رقم الآية: 110.

[50]- النساء، رقم الآية: 96.

[51]- الزمخشري، جار الله الزمخشرى، دار الفكر، بيروت، ج1، ص400.

[52]- الآية: 119.

[53]- الآية: 12.

[54]- الآية: 09.

[55]- الآية: 13.

[56]- الآية:72. و111.

[57]- الآية: 64.

[58]- الآية: 9.

[59]- الآية : 57.

[60]- بصائر ذوي التمييز، 1/ 234-235.

[61]- آل عمران، الآية: 51.

[62]- الآية:36.

[63]- الآية:64.

[64]- بصائر ذوي التمييز، 1/163-164.

[65]- ينظر: السامرائي، التعبير القرآني، ص 134.

[66]- التوبة، الآية: 100.

[67]- التوبة، الآية:72

[68]- معاني النحو، 1/55.

[69]- السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، ساعدت جامعة بغداد على نشره مطبعة التعليم العالي، الموصل، 1986م - 1987م ص:134.

[70]- النحل، رقم الآية: 72.

[71]- الآية: 67.

[72]- النحل، رقم الآية: 72.

[73]- رقم الآية: 72.

[74]- بصائر ذوي التمييز، 282/1.

[75]- البقرة، الآية: 22.

[76]- يونس، الآية: 38.

[77]- بصائر ذوي التمييز، 139/1- 140.

[78]- ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري، تح، إبراهيم الإبياري، إعراب القرآن، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1982م، 553/2.

[79]- النمل، الآية: 10.

[80]- القصص، الآية: 31.

[81]- الآية:8-10.

[82]- الآية: 30-31.

[83]- بصائر ذوي التمييز، 1/ 350.

[84]- الصافات، الآية:35.

[85]- محمد، الآية: 19.

[86]- بصائر ذوي التمييز، 395/1.